

المحاضرة 5

النظريات المفسرة للانحراف

أولا - النظرية البيولوجية : يرى أصحاب هذا الاتجاه أن التكوين البيولوجي للفرد بمثابة المحدد النسبي للسلوك، فالمجرم ينشأ بحتمية بيولوجية، سلوكه المضاد للمجتمع ينتقل إليه عن طريق الوراثة من أسلافه

يعتبر الباحث الايطالي "سيزار لومبروزو" مؤسس المدرسة الوضعية، بأنه صاحب الفضل في تأسيس هذه النظرية و التي اهتمت بتحليل و دراسة الظواهر البيولوجية لجسم الإنسان و علاقة هذه الظواهر بالسلوك الإجرامي.

لقد توصل "لومبروزو" أن المجرم الحقيقي هو المجرم بالفطرة يرث عن أصله الخصائص، كما أوضح و صفات مميزة للشخص المنحرف بالمبلاء على حد زعمه، من هذه الصفات : اختلاف حجم الرأس، الطول الغير العادي في الأذرع،

فالجريمة بنظر "لمبروزو" هي استعداد حيواني موروث يدفع الإنسان إلى ارتكاب الإجرام بحتمية بيولوجية طاغية لا تترك للظروف الاجتماعية والبيئية التي يعيشها الشخص أي مجال للتعديل مسيرته الحتمية نحو ارتكاب الجريمة رغم جهود السلطات المختصة لعلاجها والقضاء علي أسباب الوقاية منها.

لقد أيدت بعض الدراسات المفهوم العضوي للسلوك مثل "أرنست هوتون" الذي قام بسلسلة من الدراسات المقارنة مستخدما 668 من المجرمين ومقارنتهم بمجموعة من غير المنحرفين وخلص أن المجرمون يحملون بدور الجريمة والشر التي تضعف قابليتهم في تحقيق التوافق الاجتماعي.

إن الاتجاه البيولوجي جعل الفرد محور الدراسة لأنه حاول البحث عن سبب السلوك الإنحرافي من داخل الفرد نفسه فهو اتجاه فردي.

ثانيا - النظرية النفسية : ترجع هذه النظرية سلوك المنحرف إلى التكوين النفسي للفرد و إلى الصراع القائم بين مكونات الشخصية .لقد كانت هذه النظرية مجالا خصبا لدراسة خيرات الطفولة المبكرة كأساس للسلوك اللاحق ، و لقد مرت بثلاث مراحل هي حسب رائد مدرسة التحليل النفسي "سيجموند فرويد و يرى أن شخصية الفرد تتأثر إلى حد كبير بالعوامل النفسية التي تتكون

خلال مرحلة الطفولة، إذ تبقى رواسب هذه المرحلة عالقة بشخصية الفرد و تصبح دافعا لا شعوريا لسلوكه وتصرفاته. فالجريمة تعبير عن طاقة غريزية لم تجد لها مخرجا اجتماعي، فأدت إلى سلوك لا يتفق و الأوضاع التي يسمح بها المجتمع

ثالثا- **النظرية الاجتماعية** : قد يكون الاتجاه الاجتماعي في تفسيره للسلوك الإجرامي على خلاف مع اتجاهات أخرى إلا أنه يعد الأكثر شيوعا و الأوفر نتاجا و الأكثر معرفة لكافة ظروف و أسباب السلوك الإجرامي، لأنها تقوم على اعتبار الجريمة ظاهرة اجتماعية ذات أبعاد اجتماعية معينة.

لقد فسرت الانحراف من منظور اجتماعي و ربطت السلوك الإنحرافي بالظروف الاجتماعية والاقتصادية للظاهرة الإنحرافية عكس النظرية النفسية و البيولوجية التي ركزت على الفرد، فان النظريات السوسولوجيا ربطتها بظروف عديدة (الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية، الجغرافيا)

تتعلق النظريات الاجتماعية في دراسة الانحراف كظاهرة اجتماعية تخضع في شكلها وأبعادها لقوانين حركة المجتمع، فهي لا تهتم بالفرد المنحرف بقدر ما تركز جهدها على مجمل نشاط المنحرف

وترى معظم هذه النظريات أن الانحراف يتعدى السلوك الفردي بدوافعه السوية منها والمرضية ولا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة بنية المجتمع ومؤسساته وقد يكون للعوامل الذاتية دورها إلا أن تحديد الانحراف يبقى أصلا أمرا اجتماعيا وهناك البعض الآخر مثل "دوركايم" الذي يعتبر الانحراف نظرا لوجوده في كل المجتمعات وفي جميع العصور ظاهرة اجتماعية عادية وبالتالي فدراستها يجب أن تتم بطريقة اجتماعية، ولكن العلوم الاجتماعية الحديثة تجاوزت هذا الصراع حول تابعة موضوع الانحراف، فالسلوك الجانح ظاهرة متعددة المستويات والأبعاد ولكن فروع العلوم الإنسانية لها الدور في توضيحها ويحتل علم الإجماع في ذلك مكانة رئيسية لا يمكن بدون مساهمته فهم هذه الظاهرة بدرجة معقولة من الشمول.

ولقد ربط **وليام أدريان بونجير** "الجريمة و الر أسمالية في المجتمعات التي تأخذ بنظام الاقتصادي فيقول : "أن الميول الأنانية القوية التي يتسم بها النظام الرأسمالي تؤدي إلى ضعف الغريزة الاجتماعية، كما تضعف الميل نحو الأفعال الأنانية وبالتالي نحو الجريمة التي تشكل إحدى صور هذه الأفعال

إن الطفل الذي يجد نفسه من أسرة فقيرة يعاني من حرمان اقتصادي كما أنه يتعرض لبعض الظروف التي تتميز بها الأسر الفقيرة مما يؤثر على العلاقات الاجتماعية و يدفعه للشعور بالحرمان المادي الذي

قد يغذي اتجاهات و مشاعر خاصة كالشعور بالحسد و الحقد و الكراهية، بالإضافة إلى مشاعر النقص و القلق و كل هذا جو مناسب لنمو الاتجاهات العدوانية و السلوك المنحرف.

ان علماء الاجتماع لا ينظرون للفرد المجرم بوصفه شخصا معزولا عن بيئته بل هو كائن اجتماعي مرتبط بهذه البيئة. فهم يبحثون عن عيب في جسم الفرد أو في عقله أو في شخصيته بل عن أي اضطراب أو خلل أو عيب في وجوده الاجتماعي كعضو في الجماعة.

و لقد تمخضت عن هذا الاتجاه عدة نظريات مفسرة للسلوك الإنحرافي معتمدة على العامل الاجتماعي نذكر منها :

1- النظرية اللامعيارية : فحسب العالم الاجتماعي الفرنسي "دور كايم" هي انهيار المعايير الاجتماعية المسؤولة عن تنظيم علاقات الأفراد بعضهم ببعض في إطار النظام الاجتماعي الواحد. اللامعيارية تعبر عن غياب القيم و المعايير الاجتماعية المتحكمة في السلوك الاجتماعي للأفراد بحيث لا يستطيعون التفريق بين المشروع و الغير مشروع، و الجائز و الغير جائز و بذلك ينحرف الأفراد نحو الانحراف دون أي ضابط أو قيد أخلاقي

بينما استخدم "ميرتون" يمكن أن تنشأ _ اللامعيارية_ من تعارض الطموحات و انهيار المعايير النظامية "أن البني الاجتماعية تمارس ضغطا محددًا علي أشخاص معينين في المجتمع ليشاركوا في سلوك انحرافي منفصلين ذلك علي السلوك الأمثالي

كانت "المربون" افتراضات في اللامعيارية والسلوك الإنحرافي أنماط لر دود الفعل للظروف البيئية التي تتجلى لجلب الأفراد كالاتي - : الامتثال : حيث يقبل الأفراد أهداف و معايير المجتمع المشروعة لتحقيقها

- الانعزالية (الانسحاب) : عدم قبول أهداف المجتمع ولا وسائل المشروعة لتحقيق هذه الاهداف

- التجديد : الميل إلى رفض وسائل المجتمع للحصول علي الأهداف مع أن الفرد يقبل ويقدر الأهداف ذاتها.

-الطوقسية : رفض أهداف المجتمع مع عدم انتهاك قواعد هذا المجتمع

-التمرد : حيث يصبح الفرد متحررا من أهداف المجتمع ونظمه ويستبدل بها أهدافه ووسائله الخاصة لتحقيقها.

كما حدد عنصرين أساسيين لفهم البنية الاجتماعية لأي مجتمع والتي تدفع بالأفراد إلى السلوك المنحرف هما :

-الأهداف: يرى أن لكل مجتمع أهداف واهتمامات تشكلت خلال مراحل تاريخية.

-المعايير : تضبط وسائل وطرق الوصول إلى الأهداف لأنها تمثل قواعد ضبط السلوك ومن خلالها ترتب المعايير دون الخروج عن الأطر الاجتماعية المتعارف عليها.

2- نظرية الاختلاط الفارقي (نظرية الاختلاط التفاضلي) : لقد اعتمد العالم الأمريكي سدرلاندر على مجموعة من الفرضيات من:

- أن السلوك الإجرامي مكتسب غير وراثي.

-يتعلم الفرد السلوك الإجرامي عن طريق عملية التفاعل الاجتماعي

- .عملية تعلم السلوك الإنحرافي لا تتم عن طريق التقليد فقط بل عن طريق التجارب و الخبرات الشخصية.

فمن وجهة نظر "سدرلاندر" أن السلوك الإجرامي يحدث عن طريق تفضيل الفرد للخيارات الإنحرافية و المتمردة على القانون عن الخيارات المحترمة و الملزمة للقانون

3- نظرية الوصم : هي من أهم النظريات لفهم الإجرام رائدها "هوارد بيكر" حيث يرى أنه ليس هناك ما يسمى بفعل المنحرف و آخر طبيعي .و إن تكرار السلوك الجانح و قبول الحدث لهذا الوصم هو الانحراف بعينه فإن الخطورة تكمن في قبول الفرد لهذه الصفة و استلامه لهذا الوصم .و الانحراف في وجهة نظر أصحاب هذا الاتجاه لا يقوم علي نوعية الفعل بل على النتيجة التي ترتبت عليه أو علي ما يطلقه الآخرون من صفة على الفاعل، وهناك من يرى أن الانحراف ينشأ عن مجموعة من المواقف والظروف التي تحدث نتيجة تعارض مصالح الأفراد وتصارع قيم داخل

المجتمع. ويرى "أدين لمرت" أن الانحراف في السلوك بوجه عام هو نتيجة خلل في التنظيم الاجتماعي القائم في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية ويقع على مستويات ثلاثة مستوى الفرد : نتيجة لضغوط نفسية داخلية

مستوى الظروف : نتيجة التعرض إلى بعض الضغوط البيئية

مستوى التنظيم الاجتماعي : فهو الذي يصبح الانحراف فيه أسلوب الحياة للأفراد

4- **نظرية التعلم الاجتماعي** : هو كل ما يتعلمه الفرد من عادات و مهارات و سلوك اجتماعي، ترى هذه النظرية أن المنحرف متعلم.

فلقد ركزت هذه النظرية على أهمية التنشئة الاجتماعية و علاقات الحدث بأسرته و محيطه و دور كل ذلك في تكوين السلوك الإنحرافي لديه

من أبرز روادها "باندورة bandera الذي توصل إلى أن السلوك الاجتماعي سلوك متعلم يتم عن طريق الملاحظة و التقليد والتعزيز من الأشخاص المهمين في حياة الطفل مثل الوالدين و الاقران والمدرسة، بالإضافة إلى وسائل الإعلام وذلك في ثنايا عملية التنشئة الاجتماعية، ولقد قدم باندورة العوامل التي تساعد على استمرار السلوك المنحرف في ضوء نظرية التعلم الاجتماعي كالتالي:

- الدعم المباشر الخارجي : ويتمثل في ثناء الوالدين أو الآخرين في المجتمع لهذا السلوك
- تعزيزات الذات: إذ يرى المتعدى أن سلوكه يجلب له نفعاً يحقق له مصلحته أو أفراد أسرته .
- التدعيم البديلي : و المتمثل برؤية المكاسب المادية التي يحصل عليها المتعدى وتخلصه من الأضرار المحتملة، فيحاول هذا الفرد التقليد .

5- **نظرية الوسط الاجتماعي** : يرى مؤسس هذه النظرية "كساني" أن الجريمة وليدة الوسط الاجتماعي و كانت أفكاره حول تفسير السلوك الإجرامي و التي جاءت كرد فعل لأفكار "المبروزو" فمن ناحية يرى أن الجريمة ظاهرة شاذة في المجتمع و رغم ذلك فكل مجتمع يفرز المجرمين الذين يستحقهم، و من ناحية أخرى يرى أن الوسط الاجتماعي هو البيئة التي ينمو فيها الإجرام و أن المجرم كالميكروب الذي لا قيمة له إلا منذ اللحظة التي يجد فيها البيئة الصالحة لنموه.

6- **نظرية الجماعة المرجعية** : أو كما يطلق عليها أيضاً نظرية العصبية وتتضمن هذه النظرية أن الفرد في المراهقة يجد نفسه منتمي الى عصبية معينة وجماعة رفاق وهي ما تشكل هويته وانتمائه ، كما أن الجماعة المرجعية تقدم لأعضائها ما تقدمه الثقافة الغرعية من من شعور بالانتماء والامن

وقد تكون أحياناً بديلاً للأسرة لما قد يجده المراهق من اهتمام وولاء ورعاية بين أفراد العصابة وقد تخلق العصابة بصورة تلقائية من جماعات اللعب التي ينتمي إليها الطفل وتتطور وتتحول إلى عصابة جانحة من خلال تجارب الصراعات مع جماعات أخرى .